المبحث الثانى

النقـــاء والبقـــاء

النقـــاء والبقـــاء

شبهنا المسلم باللبن في الصفاء و النقاء، وأن قلبه مثل اللبن النقي لا يحمل مكروهًا أو إيذاءً لأحد، والنبي الكريم ﷺ وصفه بأنه مخموم القلب صدوق اللسان كما جاء في حديث النبي ﷺ «قيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل؟ قال: **كل مخموم القلب صدوق اللسان**، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **هو التقي النقي لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد**»[1]، قال واللبن الحليب تأتي عليه حالات من التريب أي التحول، والمسلم لكي يكون صادقًا مع الله يتحول إلى الأحسن، ولا يتحول للأسوأ.

فعلى سبيل المثال: أحد الناس يعتاد بعض الأشياء غير الطيبة مثل أن يجلس في أماكن معينة، ويأكل أكلات معينة، وينفق بإسرف على نفسه أو على غيره، وبعد هذا التحول إلى الأحسن أصبح زاهدًا في هذا فهذا طيب.

فكلما ترتقي الروح تتخفف من أعباء الطين والتراب التي نعيشها، وكلما يستشعر الإنسان أنه تخلى عن الحالة الطينية؛ فإنه يرتقي إلى حالة إيمانية، فالصوم بالأخص يجعل الإنسان أكثر نقاء، ويصير كاللبن الحليب الصافي .

قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات:٥٠]. ففروا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبرسوله ﷺ، واتباع أمره والعمل بطاعته، إني لكم نذير بين الإنذار.

وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة، وهذا فرار إلى الله، كما روى عن النبى ﷺ كان رسول الله ﷺ **إذا حزبه أمر صلَّى**[2].

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الورع والتقوى، رقم الحديث: ٤٢٠٦.

(٢) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقى مسند الأنصار، باب: حديث حذيفة بن اليمان عن النبى ﷺ، رقم الحديث: ٢٢٢١٠.

كذلك قال الله ﷻ في وصف المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

أي: إنما المؤمنون الذين صدَّقوا بالله وبرسوله ﷺ وعملوا بشرعه، ثم لم يرتابوا في إيمانهم، وبذلوا أموالهم، وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم .

أما النفاق، فمعناه: أن القلب لم يتذوق بعد حلاوة الإيمان؛ فالمسلم يلتفت إلى شيء واحد (لعلك ترضى)، وتلك حالة النقاء فقال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

أي: كثير من الأنبياء السابقين قاتل معهم جموع كثيرة من أصحابهم، فما ضعفوا لِمَا نزل بهم من جروح أو قتل؛ لأن ذلك في سبيل ربهم، وما عَجَزوا، ولا خضعوا لعدوهم، إنما صبروا على ما أصابهم، والله يحب الصابرين .

عندئذ تشتد عليك المصائب، فماذا أنت فاعل ؟

عليك بالثبات، عندما ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

هل هم لعنوا الدهر، أو اعترضوا على قسمة الملك عندما اشتد البلاء عليهم.. فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٧].

أي: وما كان قول هؤلاء الصابرين إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وما وقع منا مِن تجاوز في أمر ديننا، وثبِّت أقدامنا حتى لا نفرَّ من قتال عدونا، وانصرنا على مَن جحد بوحدانيتك، ونبوة أنبيائك.

وكذلك قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أي: وتمسَّكوا جميعًا بكتاب ربكم وهدي نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم، واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم؛ إذ كنتم أيها المؤمنون قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله ﷺ، وألقى في قلوبكم محبة بعضكم لبعض، فأصبحتم بفضله إخوانًا متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام ونجَّاكم من النار.

وكما بيَّن الله لكم معالم الإيمان الصحيح، فكذلك يبيِّن لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها، فلا تضلوا عنها .

واعتصموا بحبل الله جميعًا، فأنت في حاجة إلى أحبال، هذه الأحبال هي التي تصل بين قلبك وبين اليقين بالله تعالى، فإذا صليت العشاء فإنك أخذت حَبلًا ولكنه قصير، فعندما تصلي الفجر فإنه يصير طويلًا، وهكذا تظل معتصمًا بحبل الله تعالى، فقال النبي العظيم ﷺ: «**إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا**»[1]. إن استمسكت بالطرف الذي بيدك، واعتصمت بحبل الله تعالى، وقبلت قسمة الله ﷻ، وتاجرت مع الله ﷻ فإن هذا الطرف الذي بيديك فإنه يتصل بالطرف الذي بيد الله ﷻ فصرت موصولًا بالله تعالى، وإذا ما تمسكت بالطرف الذي بيديك، ولكنك ابتعدت عن الله تعالى فإنك

(١) رواه الطبراني في الكبير، بإسناد جيد.

ما أخذت اتصالًا، ومن هنا فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

ما النتيجة؟ تعبوا لأجل الله، تحملوا لأجل الله، ولكنهم لم ينطقوا بكلمة تغضب الجبار، وكذلك قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

لجأنا إليك يا الله، وثقنا بك يا الله، وما كان قولهم إلا قالوا «ربنا».

سيدنا يوسف عليه السلام مثال للشاب الصالح، وسيدنا إبراهيم عليه السلام مثال للشيخ الصالح في القرآن الكريم، لا يتفاعل مع الفتن التي أمامه، لماذا ؟ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولا تتبع أيها الإنسان ما لا تعلم، بل تأكَّد وتثبَّت أن الإنسان مسئول عما استعمَل فيه سمعه وبصره وفؤاده، فإذا استعمَلها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب .

ما نسمعه نسأل عنه، وما نراه نسأل عنه، وما يأتي على القلب نسأل عنه، سيدنا يوسف عليه السلام بلغ مرتبة عالية في النقاء والثبات، وسيدنا إبراهيم عليه السلام ضرب مثلًا في ثبات الشاب والشيخ والكهل، وكذلك سيدنا محمد ﷺ.

وسيدنا يوسف عليه السلام جمع بين شرف المؤمن، وكرامة أهل الإيمان، ويقين أهل الطاعة، ورضا أهل الزيادة، تفاعل مع الصدمات وواجهها، قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١].

أي: وكيف تكفرون بالله أيها المؤمنون، وآيات القرآن تتلى عليكم وفيكم رسول الله محمد ﷺ يبلغها لكم؟ ومَن يتوكل على الله ويستمسك بالقرآن والسنة فقد وُفِّق لطريق واضح، ومنهاج مستقيم .

سؤال تعجب من الملك؟ كيف يرتد بعض الناس عن الإسلام، وفيهم آيات الله تعالى؟

هناك إذاعات القرآن الكريم والناس ترتد وتكفر.

عندك السنة وأفعال النبي ﷺ، ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

فالثوب الأبيض إذا وقع عليه حبر فإن نقاءه يتأثر؛ لأنه أبيض؛ ولأن المسلم نقي عند الله ﷻ فإنه لبن صافٍ سائغ للشاربين، فسريعًا ما يعود، كذلك قال الله تعالى عن هذه الحالة في حالة سيدنا يوسف عليه السلام: كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء .

الإنسان وحده في هذه الحياة يظل يقول سأفعل المعصية، ثم أتوب عندما أتزوج، لا تلقي بنفسك للتهلكة (لتصرف عنه) الإنسان منفردًا سيضل ويضيع فهو في حاجة دائمًا إلى إعانة من الله ﷻ لولا أن سيدنا يوسف عليه السلام ثُبِّت ورأى برهان ربه، فأنت في حاجة إلى رفقة صالحة، والشباب الصالح والتقي كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

أي: الله نور السماوات والأرض يدبر الأمر فيهما ويهدي أهلها، فهو ﷻ نور، وحجابه نور، به استنارت السماوات والأرض وما فيهما، وكتاب الله وهدايته نور منه سبحانه، فلولا نوره تعالى لتراكمت الظلمات بعضها فوق بعض، مَثَلُ نوره الذي يهدي إليه، وهو الإيمان والقرآن في قلب المؤمن

كمشكاة، وهي الكُوَّة في الحائط غير النفاذة، فيها مصباح؛ حيث تجمع الكُوَّة نور المصباح فلا يتفرق، وذلك المصباح في زجاجة، كأنها - لصفائها - كوكب مضيء كالدُّر، يوقد المصباح بزيت من شجرة مباركة، وهي شجرة الزيتون، لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي متوسطة في مكان من الأرض - لا إلى الشرق ولا إلى الغرب - يكاد زيتها، لصفائه أيضًا يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مَسَّتْه النار أضاء إضاءة بليغة، نور على نور، فهو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن.

والله يهدي ويوفق لاتباع القرآن من يشاء، ويضرب الأمثال للناس؛ ليعلقوا عنه أمثاله وحكمه، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء .

أي: الله نور السماوات والأرض، فالله أعطاك من نوره؛ لأنك متعلق به، الله ﷻ يساعدك على أن تبتعد عن المعاصي بشرط أن تعتمد عليه، ولا تغتر بنفسك وتقول: شخصيتي قوية، لا تدع الشيطان يعبث بقلبك، ويحول الشخصية القوية إلى ضعيفة إذا لم تستعن بالله ﷻ ولأجل هذا، فإن الله سبحانه وتعالى ذكر هذا المثل مع سيدنا يوسف عليه السلام لتعلم شيئًا مهمًّا، وهو الإخلاص لله ﷻ، هو الذي يقوي عندك النقاء والعزيمة، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

أي: ولقد مالت نفسها لفعل الفاحشة، وحدَّثت يوسفَ نفسه حديث خطرات للاستجابة، لولا أن رأى آية من آيات ربه تزجره عمَّا حدثته به نفسه، وإنما أريناه ذلك؛ لندفع عنه السوء والفاحشة في جميع أموره، إنه من عبادنا المطهرين المصطفين للرسالة الذين أخلصوا في عبادتهم لله وتوحيده.

إنه من عبادنا كانت هذه تكفي أي أنه دخل في ولايتنا، ودخل في بركتنا، ودخل في رحمتنا، وإنه من عبادنا المخلَصين، أي أن سيدنا يوسف

عليه السلام قبل أن يقع في الفتنة، وتأتي إليه الفتن كان قوي الإيمان؛ ولأنه مُخْلَص فهو مُخْلِص، واستخلصه الله سبحانه وتعالى من المعاصي وخلق قلبه له واستخلص نزعات الشيطان من قلبه.

من هنا جاءه الثبات، عندما علم أن الله تعالى هو الذي سيثبته ويبعده عن المعاصي، لكن الفتن في المرة الثانية تكالبت عليه، فالمرة الأولى كانت امرأة واحدة عليه، فهناك فرق بين المخلَصين والمخلِصين، فأيهما أرضى عند الله جل في عُلاه؟

فالإخلاص الذي هو المجاهدة لنظل أنقياء غير ملوثين، ونجاهد ألا نكون منافقين، ودائمًا نبايع الله سبحانه وتعالى على أن كل شيء يكون لوجه الله تعالى، وابتغاء مرضات الله لينقذنا من النار، الإخلاص مجاهدة، قطعة من حديد بها صدأ؛ وليبقى الحديد نقيًّا لابد من خروج الصدأ منه، لابد من الدق عليه بحديد أو بشيء شديد أو دخوله نارًا شديدة، فلكي أبرأ نفسي من الرياء، فلابد من الإخلاص. ولكن عندما يريد الملك أن يستخلصك فأعطاك الله حصانة ومناعة، ثباتًا وقوة ويقينًا ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

فرغم أن سيدنا يوسف عليه السلام مستخلَص، وقوي الإيمان، وفيه معايير الجودة الإيمانية والنبوية، ورغم هذا لابد من الإعانة الإلهية، ففي المرة الأولى عندما تعرض لفتنة امرأة ثبت وثُبت به.

أخلصوا لله تتخلصوا من الذنوب، والنفاق، والرياء، وبعد هذا تكالبت الفتن على سيدنا يوسف عليه السلام، لم تعد هناك امرأة واحدة هي التي تريده، ولكن صار هناك نسوة، وقالوا: هناك نسوة في المدينة فتحولت الفتنة من فتنة فردية إلى فتنة جماعية، فإذا بالنساء جميعًا يتعلقن بيوسف عليه السلام.

الآن كيف ينجو من كيد نساء مدينة بأكملها، تعلق نساؤها جميعهن بيوسف عليه السلام ؟ صارت فتنة، واجتمعن كل واحدة منهن تريد يوسف عليه السلام، فماذا أنت فاعل يا يوسف عليه السلام ؟

انظر كيف استعان بالملك في الصلاة، نحن نفعل ونقول: الحمد لله، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]. (المخلصين) هل أنت مستعين بالله تعالى في حياتك في كل الأحوال، ولم تدفع رشوة، أو تطلب من أي أحد خدمة، هل وثقت بالله تعالى؟ واستعنت به في كل حياتك؟ ماذا قال يوسف عليه السلام عندما اشتد البلاء عليه؟ (وإلا تصرف) أي يريد إعانة منك يا رب، (كيدهن) إذا لم تساعدني، وتثبت قلبي فإني أضيع كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

أي: قال يوسف مستعيذًا مِن شرهن ومكرهن: يا ربِّ السجنُ أحب إليَّ مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة، وإن لم تدفع عني مكرهن أمِلْ إليهن، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم .

فالإيمان يحتاج إلى دعامات، ورفقة الصالحين، واستعانة بالملك، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، يا رب إذا لم تأخذ بيدي، وأنا في حالة شدة، وأمد يدي إليك، وأهرع إليك، فهل ترد يدي؟ وإذا لم تكن لي عونًا وسندًا فمن يساعدني؟! يا الله فاستجاب له ربه (حرف الفاء) تسريع الاستجابة.

فالناس في حاجة إلى أن يلجئوا إلى الله تعالى، الذين يستعينون بالله تعالى في الشدائد فقط، هذه توبة المفاليس وأصحاب الحوائج، العاصي جاهل بمقام الله تعالى، العاصي جاهل بعظمة الله تعالى فإنه يتعرى، أي عريان يفتش سره وتظهر سوءته، كما جاء قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أي: يا بني آدم لا يخدعنَّكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زيَّنها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتنكشف لهما عوراتهما.

إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه، وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعلمون بهديه.

هذا يعني أن الإنسان العاصي والجاهل جهل بقدر الله وعظمته، أي وقع في الذنب بجهله بعظمة الله، ولو علم أن الله تعالى يراه ومعه ما وقع في الذنب وهو معكم أينما كنتم .

فسيدنا يوسف عليه السلام وصل إلى هذه المرحلة؛ لأن الله تعالى كان معه دائمًا ولم يخذله أبدًا. فيا من يُرجى في الشدائد كلها، ونلجأ إليه في كل الأفعال سبحان الله من ثبت قلب رجل في مواجهة نساء أمة، ولكن لنفهم فهمًا حقيقيًّا أن سيدنا يوسف عليه السلام لا يستطيع أن يواجه منفردًا إلا بشيء واحد، وهو بدعائه إلى ربه .

يا رب إذا لم تزرع في قلبي يقينَ الثبات ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [الفاتحة].

وجمال الإيمان في الشريعة الإسلامية أنها جمعت بين العبادة والاستعانة بالله تعالى، فالمؤمن الذي يعبد الله تعالى حق العبادة لا يستعين بغير الله، ولكي يظل سيدنا يوسف عليه السلام نقيًّا صافيًّا حديديًّا لا يلوث بالمعاصي، فقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١].

فإذا لم تغض من بصرك فإنها نافذة إلى الشيطان، فسيدنا يوسف عليه السلام فهم هذا الكلام، وقال: يارب أنا خائف من نفسي، وعلى نفسي، وخائف من نفسي على قلبي، إني أعلم أنك خلقتني ضعيفًا، وإني أقع في زلات القلب واللسان، وتعرف ضعفي وقلة حيلتي فإن قلبي يتشتت، وهناك شيء مهم، فقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩].

أي: فإن أعرض المشركون والمنافقون عن الإيمان بك أيها الرسول فقل لهم: حسبي الله، يكفيني جميع ما أهمَّني، لا معبود بحق إلا هو، عليه

اعتمدت، وإليه فوَّضْتُ جميع أموري؛ فإنه ناصري ومعيني، وهو رب العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات.

دائمًا تقول أستعين بك يا رب، أنت حافظي ودليلي، فكلما يزداد الإنسان إيمانًا يزداد لمعانًا، والاستعانة كلها بالله تعالى دائمًا تؤدى إلى الثبات.

اللهم اعطنا كل سؤلنا، واقض لنا حوائجنا، ولا تمنعنا الإجابة وقد ضمنتها لنا، ولا تحجب دعاءنا عنك، وقد أمرتنا، وامنن علينا بكل ما يصلحنا في دنيانا وآخرتنا .

اللهم توفنا مع الأبرار، ولا تبقنا مع الأشرار، اللهم ارحم فقرنا، ووفقنا للنطق بالصواب، والعمل بالسنة والكتاب،

اللهم ذكرنا إذا نسينا، ويقظنا إذا غفلنا، واغفر لنا إذا عصينا، اللهم لا تسلط أنفسنا علينا، فإنا ضعفاء، اللهم زينا بالإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم اهدنا، واهد بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى. اللهم بشرنا بمغفرة وأجر كريم، واجعلنا مع المتقين المحسنين، ونزهنا عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واحفظنا من هول يوم القيامة، وجنبنا سوء عذابك، واحفظنا أن نفتن في ديننا، واحفظ قلوبنا بنور وجهك العظيم، يا نور، يا حق، يا مبين، اللهم علمنا من علمك، وأسمعنا خيرًا، وألبسنا التقوى، اللهم أبعد عنا شرور الأعداء، وعيون الحاقدين، وأفئدة الحاسدين، اللهم اجعلنا من أصحاب القلوب السليمة، وافتح لنا فتحًا مبينًا بنورك، يا عالما بحالنا، ومطلعًا على سرائرنا ونياتنا، يا أرحم الراحمين.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، أكرم خلقك وسراج أفقك، وأفضل قائم بحقك .